لأنك تعشق فؤاد حداد

حسني الجهيني - مصر

في النهاية كانت منقلب (يونس) إلى إحدى شركات التوظيف، بالطبع كان يحمل تحت إبطه الكثير من الأوراق، من بينها أيضًا أوراقًا تاريخ سريانها انتهى منذ أكثر من عامان أي سنة تخرجه، ولكنه أحضرها كذلك تحسبًا لطلبها وضياع الفرصة، تطلع إليه موظف الشركة وقال بنرجسية واضحة في صوته:

- هناك وظيفة عامل بوفيه في شركة (....) براتب ألف جنيه إن كانت لا تناسبك فهناك وظيفة عامل في مصنع كيماويات براتب ألف ومائتي جنيهًا، بالإضافة إلى مائة جنية بدل مخاطر للمهنة، أي ككل ألف وثلاثمائة جنيه، بأيهما تقبل؟

صمت (يونس) وتفحص زي الموظف المكوي، ورابطة عنقه المربوطة بإحكام، وتساءل ما المميز فيه حتى يكون جالسًا على المكتب، ويكون هو واقفًا أمامه كتلميذ بليد، بالتأكيد الواسطة ولا شيء غيرها، ولكنه في النهاية كان يدرك الحقيقة المرة، إن مهاراته لا تساوي شيئًا في المطلوب لسوق العمل، هم يريدون (عتالون) بالمعنى الأدق، ومستوى تفكيره أو ذكاءه سيكون غير مفيدًا لهم للاستفادة منه، لن يحمل أجولة البطاطس بخلايا مخه الرمادية ولن يمتلئ درج رب العمل بالأموال بحديثه عن الثورة الفرنسية، وكتابات (ديستوفيسكي)، والرمزيات في أدب (أورويل) .. هم يريدون فواعلي لا أكثر، مع التقدير لكل (الفواعلية) الذين تحلوا بالصبر والذين لم يصبروا، رد في استسلام:

- فلتكن الوظيفة الأولى، أظنها مناسبة.

قال الموظف ببرود:

- أوراقك ومائة جنيه كتأمين ومصداقية.

ناوله (يونس) بعض الأوراق بالإضافة إلى ورقتين من فئة الخمسون جنيهًا، وتناول منه جواب التعيين، وهنا صاح الموظف بصوت بدا متعجرف يحمل كثيرًا من الاستعجال ينادي على التالي، فما كان من (يونس) إلا أن لملم باقي أوراقه غير المرتبة بسرعة قاصدًا المكان التالي.

حدث نفسه وهو جالس في الحافلة المتوجهة إلى موقع الشركة المذكور عنوانها في جواب التعيين:

- فات زمن الاعتراض يا يونس، هنا نهاية رحلتك التي بدأتها منذ وقت طويل، ولتحمد الله أنك وجدت وظيفة من الأساس، إن نسبة عثورك على تلك الوظيفة كانت تمثل واحد في المائة من أي شيء يمكن العثور عليه، يمكنك أن تتعثر أثناء مشيك في مقبرة الاسكندر المفقودة، تعثر على طائر بطريق في ثلاجة غرفتك، تكتشف وجود طائر دودو منقرض بين الأوز والأرانب التي تربيها والدتك في شرفة منزلك أما العثور على وظيفة في هذا الزمان فهو من رابع المستحيلات.

طلب (يونس) من سائق الحافلة أن يتوقف أمام تلك الشركة التي تحمل اسم (الصفوة) بالإضافة إلى كلمة أخرى توضح نشاطها وترجل منها والقلق يعتصره،

ثم توجه إلى فرد أمن وقف على البوابة يدخن لفافة تبغ ويراقب مؤخرات الفتيات اللواتي يمرن من أمامه، قال له:

- أنا عامل ....

وابتلع ريقه، وتدفقت عصارة مريرة تحاول الخروج من جوفه وهو يكمل:

- البوفيه .. أنا عامل البوفيه الجديد.

أشار فرد الأمن بلا اكتراث إلى مبنى الشركة المكون من ثلاث طوابق وهو يقول:

- الطابق الأرضي، اسال عن عم (إبراهيم) الذي ستعمل معاونًا له.

شكره (يونس) وأسرع بخطوات جادة إلى باب المبنى، هم بدخوله عندما توقف فاجأه وقد وقعت عيناه على صندوق قمامة خارجه، توتر قليلًا وهو يفكر قبل أن يحسم أمره، ويلقي بباقي شهاداته وأوراقه بداخله، ملأ صدره بالهواء، وزفره في راحة، ومن ثم دخل المبنى

وصل إلى عم (إبراهيم) العجوز حاني الظهر، الذي يلبس طاقية بيضاء فوق رأسه، الذي قال بصوت طاعن في السن:

- سنقسم العمل .. أنا سأخذ الدور الأرضي، لأنني عاجز عن صعود الدرج ونزوله لكبر سني كما ترى، بينما ستأخذ أنت الدور الثاني والثالث.

هز (يونس) رأسه بابتسامة شاحبة، واستبدل قميصه بقميص أخر أزرق اللون مخصص للعمل، هم بسؤال العجوز عن شيء عندما ارتفع صوت هاتف عم (إبراهيم) في ذات اللحظة، قرب العجوز الهاتف من عينه ليرى الإسم الظاهر على شاشته، ثم ضغط زر الإجابة ورد:

- ألو .. نعم أنا بخير .. كوبان من عصير الليمون .. هل هناك ضيوف في مكتبك؟ .. نياهاهاها .. حسنًا سأرسلهم إليكِ على الفور .. مع السلامة.

وبطريقة سريعة بحكم الممارسة، قام بإعداد المطلوب بسرعة، وناولهم على صنيه لـ(يونس) قائلًا له:

- ثالث مكتب يمين بالدور الثالث، إن تهت فاسأل عن أنسة (دينا).

وضع (يونس) الصنية على كفه، وصعد الدرج واجتاز المكاتب بناء على الوصف، ثم توقف لثواني أمام الباب المقصود محاولًا التخلي عن خجله، وهو الذي ولأول مرة يقدم طلبات ويعمل في خدمة امرأة، وبعدها عبر بقدمه اليمنى إلى الداخل، وتفحص في وجوه الجالسات على المكاتب، سأل عن انسة (دينا)، فأشارت واحدة منهن إلى خلف ظهره، لفتاة كانت قد دخلت المكتب للتو، هتفت الفتاة بمرح:

- من يسأل عني؟

استدار (يونس) نحوها، وحين وقع بصره عليها، ارتجفت الصنية بين يديه، وكادت تسقط بما عليها على الأرض، وقد كانت (دينا) تلك أجمل فتاة يمكن أن تكون قد وقعت عيناه عليها من قبل، متوردة الوجه، زرقاء العينين، هائشة الشعر، ترتدي بلوزة بيضاء على بنطال أسود يحيط بجسدًا متناسق القوام، قال مرتبكًا:

– اثنان إبراهيم قد أرسلهم إليكِ عم ليمون.

انفجرت كل نسوة المكتب بالضحك، في حين تطلعت (دينا) إلى عيني (يونس) مباشرة، وقالت بابتسامة مشرقة:

– اهدأ لا عليك .. شكرًا على تعبك على كل حال .. ما أسمك؟

– يونس

مدت يدها إليه مصافحة، فسرت قشعريرة في جسده، عندما تلامس الكفان، وعرفت نفسها: – أنا دينا

لم يعرف ما هو الرد المناسب، فلاذ بالصمت، قالت موظفة بدينة مخاطبة (دينا):

– يبدو أنه على قدر كبير من الخلق يا دينا، سبحان الله .. لو كان هذا الشاب رئيسًا للعمل بدلًا من الأستاذ (عماد) نائب رئيس الشركة المتعجرف لغدا العمل هنا جنة.

كادت (دينا) ترد، عندما دخل رجل يرتدي بزة سوداء، ويحمل بين أصابعه لفافة تبغ مستوردة، صاح مخاطبًا الموجودات:

- ما هذا الهرج والمرج؟ نحن ندفع لكم لتعملوا لا لتثرثروا.

ابتلعت النسوة ألسنتها، وزفرت (دينا) بضيق، فعاد (عماد) يخاطب (يونس) بلهجة متعجرفة:

- وأنت أيها الساعي، لما لا تزال تنتظر هنا؟

ارتبك (يونس) واختنق صوته، وهو يقول ولأول مرة في حياته:

- أسف

أشاح (عماد) بيده أن ينصرف، قبل أن يلتفت إلى (دينا) قائلًا بلهجة ودودة:

- أنسة دينا .. الحقي بي على مكتبي من فضلك.

وانصرف مغادرًا، وراقبت (دينا) وجوه زميلاتها اللواتي يحبسن ضحكات مكتومه، قبل أن تتنهد باستياء، وتتبع خطواته متوجهة إلى مكتبه.

دخلت إلى مكتب (عماد) وهي تعلم مسبقًا ما سوف يتحدث عنه، فهو فاتحها أكثر من مرة في موضوع خطبتهما، إلا أنها كانت ترفض دائمًا، فهي تفضل العمى على أن ترتبط بشخص مثله، قال لها مداهنًا:

– فتاتي الجميلة، وأكفأ موظفة بالشركة، أرجو أن تكوني قد فكرتِ وعقلتِ الأمور.

ردت (دينا) بنبرة جافة:

– من فضلك أستاذ (عماد) الكلام معي يكون بشكل متحفظ، أنا موظفة هنا في الشركة لا أكثر ولا أقل.

– لقد طلبت منك ذلك المطلب أكثر من مرة، أنا ارغب في الارتباط بكِ يا دينا.

قالت (دينا) بحسم:

– وأنا رفضته، واحفظني من حرج رفضه ثانية، لأنك أصبحت يا أستاذ (عماد) شبه تتحدث في هذا الموضوع بشكل يومي.

مد (عماد) يده يضعها على كتفها، وعندها تحولت إلى نمرة شرسة وهي تنزع يده عنها بقوة قائلة:

– احذر أن تفعلها مرة أخرى، هذا تحذير أول وأخير، وإن كان ما تطلبه مساومة بينك وبين العمل فسأتركه وأبحث عن غيره، بعد اذنك.

احتقن وجه (عماد) وهو يتابعها ببصره بضيق حتى انصرفت، قبل أن يشعل لفافة تبغ، ويمتص دخانها وهو يهمس:

– فتاة عنيدة.

بعد انتهاء ساعات العمل، وقفت (دينا) أمام بوابة الشركة، تنتظر سيارة أجرة تقلها إلى منزلها، فتحت حقيبتها، وتفحصت حافظة نقودها الصغيرة، واكتشفت أن ما فيها لن يكفيها للعودة إلى منزلها بشكل أدمي، ففضلت السير على قدميها حتى موقف الحافلات غير البعيد توفيرًا في النفقات، إلا أنها أثناء سيرها شعرت بتلك الأقدام، التي تتبع خطواتها، نظرت إلى الوراء فشاهدتهم .. اثنان من الشباب تبدو على وجوههم علامات الإجرام، مد أحدهم خطواته حتى تجاوزها ومن ثم استدار مما جعلها تتوقف وتستدير لتكتشف نفسها محاصرة بين الشابين، ارتعدت بينما كان يقول الأول:

- نقودك بهدوء، ولن نسبب لك أي متاعب.

توترت (دينا) فما كان من الشاب إلا أن مد يده ينتزع منها حقيبتها ليفتشها بنفسه. انفجرت في البكاء، عندما شعرت بتلك اللكمة تخترق وجه أحد الشابين، وركلة تصيب الشاب الآخر لتنظر لمرسلها وتجده (يونس) الذي لحسن الحظ تصادف خروجه وطريق عودته معها، مما جعله يشهد الواقعة. هرول اللصان هاربان، فناولها (يونس) حقيبتها، وهو يقول مبتسمًا:

- هل سببوا لكِ أي اذى؟

مسحت وجهها وعيناها وهي تهز رأسها نافية، في حين تابع:

- سأسير معكِ إلى المكان الذي سوف تذهبين إليه، لا داعي للقلق.

شكرته (دينا) بصوت مبحوح، وفي داخلها تولد شعور جديد غريب لم تعرفه من قبل.

في الأيام التالية توطدت العلاقة بين (يونس) و(دينا)، وأعلن لها عن جانب لم تعرفه في شخصيته من قبل، أراها قصائد مكتوبة بخط اليد وعرفت منه أنه يكتب الشعر، أعلن لها عشقه لكتابات (فؤاد حداد)، وتكلما عن (الأبنودي) و(صلاح جاهين)، وحدثها عن متلازمات علم النفس، وثورة الزنج والشدة المستنصرية، وكتابات (الطيب صالح) و(العراب) و(رضوى عاشور).

حتى جاء ذلك اليوم الذي تقابلا فيه داخل تلك الكافتيريا البسيطة وهناك قال لها:

- أنتِ تعرفين ما سوف أتحدث عنه بالتأكيد.

هزت رأسها إيجابًا، فعاد وسألها:

- وما رأيك؟ هل تبادلينني نفس الشعور؟

تورد وجهها خجلًا، قبل أن تهز رأسها إيجابًا بنعم.

خلال تلك الفترة لاحظ (عماد) العلاقة التي بدأت في النشوء بين الاثنين، خطرت بذهنه فكرة يكسر بها نفس (يونس) وكرامته، فاستدعى دينا إلى مكتبه بحجة القيام ببعض الأعمال، جلست على مقعد أمامه بينما رفع هاتفه متصلًا بعم (إبراهيم) قائلًا:

– إثنان قهوة من فضلك .. لا .. لا تحضرهم أنت .. أرسلهم مع ذلك الشاب .. ما اسمه؟ يونس! حسنًا .. ارسلهم مع يونس.

دخل (يونس) بالمطلوب إلى المكتب ووقعت عيناه على (دينا) فشعر بالخجل كعادته، وعندما كان يقوم بوضع الطلبات على المكتب قام (عماد) بعرقلته، فوقعت الصنيه على الأرض وغرقت أرضية المكان، صاح (عماد):

– هل أنت أعمى؟

تطلع إليه (يونس) مذعورًا غير فاهم، واصطدمت عيناه بـ(دينا) فتحاشاها بسرعة وهو يقول:

– أنا لا أفهم شيئًا

فصاح (عماد) بتوبيخ واضح:

– وهل أنت تفهم من الأساس؟

صمت (يونس) فتابع (عماد):

– ولا كلمة .. امسح ذلك الذي سكبته.

نزع (يونس) قطعة قماش معلقة في بنطاله، ومضى يمسح أسفل المكتب، وعندما وصل إلى ما تحت قدمي دينا توقف، في حين نهضت الأخيرة فصاح فيها عماد:

- مكانك يا أنسة دينا

وتابع بلهجة سخرية مخاطبًا يونس:

- امسح تحت قدمي الأستاذة يا روميو .

تطلع إليه (يونس) لأعلى بنظرة جامدة، ومسح المتبقي سريعًا، وغادر صافقًا الباب وراءه بعنف شديد، لحقت به دينا فقال لها في ضيق:

- لن أستمر في العمل هنا .. أنا أسف .. وأسف أيضًا أنني قد تسرعت بمفاتحتك في ذلك الموضوع، أنتِ تستحقين شخص أفضل مني.

تطلعت (دينا) في عينيه، وهتفت به:

- اهدأ

قال ممتعضًا، وهو يخفض رأسه:

- أنتِ رأيتِ ما جرى .. لن أستطيع النظر في وجهك بعد الآن .. على كل هذا قرار محسوم، سأخذ متعلقاتي من هنا، وسأنصرف.

انتهى من جملته فتوقفت (دينا) في منتصف الشركة تراقبه في حيرة، قبل أن تستدير مولية ظهرها إليه عائدة إلى عملها.

بعد نصف الساعة كان (يونس) يحمل بين يده صندوق من الكرتون يحتوي بعض الكتب التي كان قد أحضرها لقراءتها في الشركة، حدث نفسه أن لا جديد هكذا هي الحياة دومًا تحضر لك حذاء جديد فتسعد به، فتكشر بعدها عن أنيابها وتضربك

به على رأسك دون أن تتركك تنعم بارتدائه، مضى في طريقه حتى سمع دوي تلك الخطوات المهرولة وراءه، وصوت:

- بس بس

فاستدار ووجدها دينا التي وقفت أمامه حاملة صندوقًا أخر يحمل اسمها، قالت باسمة:

- ألا تحتاج لصحبة.

تطلع إليها (يونس) مشدوهًا وسألها بحذر:

- هل ..... ؟

أومأت برأسها إيجابًا، فسألها وقد عقد حاجبيه:

- لماذا؟

ابتسمت وهي تشبك أصابعها بأصابعه ليسيرا إلى الأمام سويًا نحو المجهول، وردت بمزاح:

- لأنك تعشق فؤاد حداد.

تطلع إليها ممتنًا أثناء سيره ولا يدري لما بدأ يدندن بصوت خافت:

يا ريتنى أعمى أشربك بالّلمسْ

والاَّ أشِمّك من بيار الأمسْ

قالت حتقلب جدّ يا مسكينْ

قلت لها أستاهل حدودْ الموتْ